

فه الجملة الشهيرة ، قبل أن يشهد احتضار الإسلام في إسبانيا : « أفضل أن أرمى الجمال في أفريقيا على أن أرمى الخنازير في قشتالة » . ومن المؤكد أنه حين رأى المرابطين يغزون الأندلس لجأ إلى صهره ألفونسو السادس^(٦) ، وكانت لحظة توتر فاجعة في حياة إسبانيا ، لأن قوات الملك القشتالي بقيادة ألبر هانس Alver Fanez . الساعد الأيمن للسيد القنيطور^(٧) ، توجهت لمساعدة الملك الأندلسي ، ولكنهم هزموا في المدور قريبا من قرطبة ، ولم يعد ممكنا منذ هذه اللحظة أن يشهد الإسلام استقراراً في إسبانيا ، لأن توجيه الأمور فيها انتقل إلى أناس أفريقيين ، بعيدين عن جنسنا . ولا صلة لهم بتقاليدنا ، وأمضى الملك الشاعر التعس ما تبقى له من العمر سجيناً في أغمات ، بأئس العيش ، تهدد خياله الآمال في أن يعود إلى ملكه يوماً ، وهو أمل لم يتحقق أبداً .

يروى ابن اللبانة الشاعر أن رجلا من أهل إشبيلية كان يحفظ قصيدة المعتمد التي كتبها يستعطف بها أباه المعتمد ، لما فرط في أمر مאלقة . وخذله أصحابه . فأخرج منها ، ولجأ إلى رندة ، فأقام بها مدة تحت موجدة أبيه ، والتي مطلعها :

سكن فؤادك لا تذهب بك الفكر ماذا يعبد عليك البث والحذر
« ثم خرج من بلده لنية منه إلى أقصى حى في العرب ، فأوى إلى خيمة من خيماتهم . ولاذ بذمة راع من رعائهم . فلما توسط القمر في بعض الليالى . وهجع السامر . تذكر

(٦) حين رفض المرابطون ترك الأندلس بعد انتصارهم الحاسم في معركة الزلاقة عام ١٠٨٦ م . حاول المعتمد أن يخالف ملك قشتالة ضدهم ، ولكن المرابطون انتصروا عليهم . وقتل بعض أبناء المعتمد وهم يدافعون عن ملكه . ونقل هو نفسه وما تبقى من أسرته إلى مراكش ، وسجنوا في أعماق قريبا منها . وأثناء ذلك هربت زوجة أحد أبناء المعتمد ، مع أبنائها . والتجأت إلى ملاط ألفونسو السادس ملك قشتالة ، وارتدت عن الإسلام ، وأصبحت زوجة له ، وأُنجب منها ابنه الوحيد شاذي ، وسوف يقتل فيما بعد . في معركة دارت بين أبيه والمرابطين . تلك هى الخطوط العريضة للقصة . ولكن الرواية الأسبانية . الشعبية والوسمية والدينية ، والعلماء فيها بعد ، فرجوا بالخير ، التقطوه وصاغوا حوله الأساطير : كنة المعتمد أصبحت استه ، ولم تهرب . إنما أهداها المعتمد نفسه لألفونسو ، لتكون عشيقته ، أو زوجته في أحسن الأحوال . والحقيقة ما ذكرنا واسم هذه الفاة سدة . وفي المصادر الأسبانية Zaida . ودرج الباحثون العرب على ترجمتها « زابدة » وفي ضوء القوانين القسوتية للغتين الأسبانية والعربية . يجب أن تكون سيده . (المترجم)

(٢) لمعرفة المزيد عن السيد القنيطور والرهانس . انظر كتاب : ملحمة السيد . دراسة مقارنة . الطبعة الثالثة دار المعارف القاهرة ١٩٨٣ .